

الحج وتزكية النفوس

حلقات إذاعية

إعداد

د. سليمان بن قاسم العيد

١٤١٨ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحلقة الأولى

فضل الحج والحرص على تحقيقه

أيها المستمعون الكرام ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأهلاً بكم مع هذه الحلقة من برنامجكم (الحج وتزكية النفوس) .

أخي المستمع الكريم، إن تزكية النفس مما بعث الله به نبينا محمداً (صلى الله عليه وسلم) ، كما في قوله سبحانه { كما أرسلنا فيكم رسولا منكم يتلو عليكم آياتنا ويزكيكم ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما لم تكونوا تعلمون }^(١) . وبالتزكية دعا إبراهيم عليه السلام لهذه الأمة ، كما أخبر الله سبحانه وتعالى عنه بقوله { ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم }^(٢) .

ومعنى يزكيهم: أي يطهرهم من رذائل الأخلاق ، وذنس النفوس ، وأفعال الجاهلية، ويخرجهم من الظلمات إلى النور .

كما أثنى الله سبحانه وتعالى على من زكى نفسه بقوله { قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها } قد أفلح من زكى نفسه، أي طهرها من الذنوب ، ونقاها من العيوب، ورقاها بطاعة الله ، وعلاها بالعلم النافع والعمل الصالح^(٣) .

كما أن المصطفى (صلى الله عليه وسلم) وهو خير البشر يدعو الله سبحانه وتعالى بركة النفس ، كما ورد في صحيح مسلم من حديث زيد بن أرقم (رضي الله عنه) قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول كان يقول : «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ ، وَالْجُبْنِ وَالْبُخْلِ ، وَالْهَرَمِ ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ ، اللَّهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا ،

(١) سورة البقرة الآية ١٥١ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ١٢٩ .

(٣) تفسير بن سعد ٦٣٣/٧ .

وَزَكَّاهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ، وَمِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لَا تَشْبَعُ، وَمِنْ دَعْوَةٍ لَا يُسْتَجَابُ لَهَا»^(١) .

أخي المستمع الكريم، إذا كان الأمر كذلك فإن وسائل تزكية النفس كثيرة ، ومن وسائل تزكية النفس ما فرضه الله سبحانه وتعالى على عباده من الفرائض كالحج مثلاً . فالحج من أعظم الوسائل في تزكية النفس ، فلو تأملت أخي المستمع الكريم ما قاله المصطفى (صلى الله عليه وسلم) عن هذه الفريضة، وأثرها في تزكية النفس وطهارتها ، كما ورد في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) قال: قال النبي (صلى الله عليه وسلم): «مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»^(٢) .

الرفث قال فيه ابن حجر في الفتح : هو الجماع ، وبطلق على التعريض به ، وعلى الفحش في القول ، وقال الأزهري : الرفث اسم جامع لكل ما يريد الرجل من المرأة ، وكان ابن عمر يخصه بما خوطب به النساء . وقال عياض : هذا هو قول الله تعالى {فلا رفث ولا فسوق} والجمهور على أن المراد به في الآية الجماع . والذي يظهر أن المراد به في الحديث ما هو أعم من ذلك ، انتهى كلامه . ولم يفسق : أي لم يأت بسيئة ولا معصية .

فمن خلا حجه من الرفث والفسوق حصل له من حجه أعظم زكاة لنفسه، وذلك بتنقيتها من ذنوبها ، وكانت النتيجة أن يرجع من حجه كيوم ولدته أمه ، أي بغير ذنوب، وقال ابن حجر في الفتح : ظاهره غفران الصغائر والكبائر والتبعات . وقال ابن العربي في شرحه على صحيح الترمذي : الطاعات إنما تكفر الصغائر، فأما الكبائر فلا تكفرها إلا الموازنة ، لأن الصلاة لا تكفرها فكيف العمرة والحج، وقيام رمضان ، ولكن هذه الطاعات ربما أثرت في القلب فأورثت توبة تكفر كل خطيئة .

أخي المستمع الكريم إن تأثير الحج من هذا الجانب في تكفير الذنوب من أعظم الأمور في تزكية النفوس ، فالنفس الزكية هي التي تطهرت من ذنوبها ، وهي التي تخلصت من أدرانها

(١) كتاب الذكر والدعاء ، حديث رقم ٢٧٢٢ .

(٢) كتاب الحج ، حديث رقم ١٨٢٠ ، ١٥٢١ .

وعيوبها . فمن رام زكاة نفسه ، وخلاصها ، فليحرص على تطهير حجه من الرث والفسوق .

ومما يؤكد هذا الأثر للحج ما ورد في سنن الترمذي من حديث عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : «تَابِعُوا بَيْنَ الْحَجِّ وَالْعُمْرَةِ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَالذُّنُوبَ كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ وَالذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَلَيْسَ لِلْحَجَّةِ الْمَبْرُورَةِ ثَوَابٌ إِلَّا الْجَنَّةُ»^(١) . فكما أن الكير ينقي الحديد مما علق به من الخبث ، فإن الحج والعمرة فيهما زكاة للنفس ونقاء لها مما علق بها من الذنوب .

وفي هذا الجانب فإن الحاج يتهيء له من الفرص في الخشوع والخضوع والانكسار بين يدي الله سبحانه وتعالى في طلب مغفرة ذنوبه ، ما لا يتهيأ له في غيره ، ومع هذا أيضاً فهو مسافر والمسافر مستجاب الدعوة ، فرما دعا بما دعا به رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لزكاة نفسه «اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها» ونحو ذلك من الأدعية التي تعود عليه بزكاة النفس وطهارتها ، فوافقت تلك الدعوات باباً مفتوحاً فكانت سبباً لسعادته في دنياه ونجاته في آخره .

أيها المستمعون الكرام، حجاج بيت الله الحرام إنها ولله فرصة عظيمة لمن وفقه الله للحج، أن يزكي نفسه مما تراكم عليها من الذنوب الكثيرة، التي ربما يعلمها الإنسان وربما لا يعلمها ، فإنه معرض للخطايا بالليل والنهار ، كما ورد في الحديث القدسي « يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار ، وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم» .

(١) كتاب الحج ، حديث رقم ٨١٠ .

الحلقة الثانية

إخلاص النية في الحج

أيها المستمعون الكرام، حجاج بيت الله الحرام ، أهلاً بكم مع حلقة جديدة من برنامجكم (الحج وتركية النفوس) نتأمل فيها تركية النفوس من خلال إخلاص النية في الحج، ففي ذلك أثر عظيم على الحاج في حجه وبعده ، ومن المعلوم أن الله سبحانه وتعالى أمر عباده بإخلاص العبادة له ، كما في قوله سبحانه {وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين } . كما حذر سبحانه وتعالى من الرياء كما في قوله سبحانه {فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً} أي لا يرأى بعمله بل يعمل خالصاً لوجه الله تعالى^(١) . كما ذم المرائين في قوله {فويل للمصلين. الذين هم عن صلاتهم ساهون . الذين هم يراءون. ويمنعون الماعون } .

كما حذر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الرياء كما في مسند الإمام أحمد من حديث محمود بن لبيد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشَّرْكَ الْأَصْغَرَ، قَالُوا: وَمَا الشَّرْكَ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ ، يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِذَا جُزِيَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ، أَذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءَوْنَ فِي الدُّنْيَا، فَاَنْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَهُمْ جَزَاءً...»^(٢).

أخي المستمع الكريم، إن الحج من الأعمال التي يدخلها الرياء من وجوه كثيرة ، إما بكثرة النفقة ، أو بجودة المركب وفخامته ، أو بحسن المسكن وسعته في المشاعر، أو بكثرة الحاشية والأتباع ، أو بكثرة الحج وتكراره . ولذا فعلى الحاج أن يحرص على إخلاص نيته لله سبحانه وتعالى وأن يحذر من الرياء والسمعة في حجه في شيء مما ذكر أو نحوه .

(١) تفسير ابن سعدي ٨٨/٥ .

(٢) المسند ، حديث رقم ٣٣١١٩ (ترقيم إحياء التراث) .

إن نبينا محمداً عليه الصلاة والسلام هو أتقى الناس لربه، وأخشاهم له وأكملهم زكاة لنفسه ، وأحرص الناس على حجه ، ومع ذلك فإنه (صلى الله عليه وسلم) يتعوذ من الرياء والسمعة في حجه ، لما ورد في سنن ابن ماجة من حديث أنس بن مالك (رضي الله عنه) قال: حج النبي (صلى الله عليه وسلم) على رجل رث، وقطيفة تساوي أربعة دراهم، أو لا تساوي، ثم قال: «اللهم حجة لا رياء فيها ولا سمعة»^(١) .

وكم للنية الخالصة في الحج من أثر عظيم في زكاة النفس وفلاحها ، وهذا النفع العظيم يفوت على بعض الحجاج ، إذا فوتوا الإخلاص في حجهم ، وربما دخل الرياء في حج الإنسان من غير أن يشعر .

كان رجل من المتقدمين يحج ماشياً على قدميه كل عام فكان ليلة نائماً على فراشه فطلبت منه أمه شربة ماء ، فصعب على نفسه القيام من فراشه لسقي أمه الماء، فتذكر حجه ماشياً كل عام، وأنه لا يشق عليه ، فحاسب نفسه فرأى أنه لا يهونه عليه إلا رؤية الناس له، ومدحهم إياه ، فعلم أنه كان مدخولاً . أي مصاباً في الرياء بحجه ماشياً، وهو لم يعلم بذلك ، إلا حينما تأمل حاله في عمل لا يراه فيه الناس شاق عليه وهو أهون من الحج ماشياً .

وقال بعض التابعين : رب محرم يقول : لبيك اللهم لبيك ، فيقول الله : لا لبيك ولا سعديك ، هذا مردود عليك . قيل له : لم . قال : لعله اشترى ناقة بخمسمائة درهم ، ورحلاً بمائتي درهم ، ومفرشاً بكذا وكذا ، ثم ركب ناقته ورجل رأسه ونظر في عطفيه ، فذلك الذي يرد عليه ، ومن هنا استحب للحاج أن يكون شعثاً أغبر ، كما في حديث المباهاة يوم يباهي الله عز وجل ملائكته عشية عرفة، بأهل عرفة فيقول انظروا إلى عبادي أتوني شعثاً غبراً^(٢) .

(١) كتاب المناسك ، حديث رقم ٢٨٩٠ .

(٢) مسند الإمام أحمد .

قال رجل لابن عمر : ما أكثر الحجاج! فقال ابن عمر : ما أقلهم . وقال شريح الحاج قليل والركبان كثير ، ما أكثر من يعمل الخير ، ولكن ما أقل الذين يريدون وجهه .

أخي المستمع الكريم ، أيها الحاج ، وفي جانب مهم من تركية النفوس المتعلق بإخلاص النية في الحج تأمل قوله (صلى الله عليه وسلم) «الحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة» ومن أهم صفاته أن يكون خالصاً لله تعالى ، فإذا وفق الحاج إلى الحج المبرور ، كان أعظم زكاة لنفسه ، بدليل أنه يجزى به الجنة ، ولا يدخل الجنة إلا نفس زكية ، وقد أخبر الله سبحانه عنها بقوله {قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها} .

أخي المستمع الكريم ، إن كنت ممن عزم على الحج أو ممن شرع فيه ، فاجتهد وفقك الله في إخلاص نيتك لمولاك ، تزكو بذلك نفسك ، وتدرك فلاحها ، واعلم أن الإخلاص ليس بالأمر الهين ، بل هو مما يحتاج إلى مجاهدة النفس عليه . قال أيوب : «تخليص النيات على العمال، أشد عليهم من جميع الأعمال» ، وقيل لسهيل : أي شيء أشد على النفس ؟ قال : الإخلاص ، إذ ليس لها فيه نصيب» . وقال بعضهم : «إخلاص ساعة نجاة الأبد ، ولكن الإخلاص عزيز»^(١) .

واعلم أيضاً، أنه لا يتخلص العبد من الشيطان إلا بالإخلاص لله عز وجل ، كما في قوله سبحانه وتعالى حكاية عن إبليس { قال فبعزتك لأغوينهم أجمعين . إلا عبادك منهم المخلصين} ، وروي أن أحد الصالحين كان يقول لنفسه : « يا نفس أخلصي تتخلصي » .

أخي المستمع ، اعلم أن كل حظ من حظوظ الدنيا تستريح إليه النفس ، ويميل إليه القلب ، قل أم كثر ، إذا تطرق إلى العمل ، تكدر به صفوه ، وزال به إخلاصه ، والإنسان مرتبط في حظوظه منغمس في شهواته ، قلما ينفك فعل من أفعاله ، وعبادة من عباداته عن حظوظ وأغراض عاجلة من هذا الجنس ، فإن الإنسان الذي يغلب على نفسه حب الدنيا ، والعلو ، والرياسة ، وغير من الأمور الدنيوية ، فلا تسلم له عبادة من حج وصوم وصلاة ، وغير ذلك إلا نادراً .

(١) تركية النفوس وتربيتها ، كما يقره علماء السلف ص ١٦ .

وإذا كان الأمر كذلك فإن علاجه في علاجه كسر حظوظ النفس ، وقطع الطمع في الدنيا ، والتجرد للآخرة ، بحيث يغلب ذلك على قلبه ، فإن ذاك يتيسر به الإخلاص . وكم من أعمال يتعب الإنسان فيها ، ويظن أنها خالصة لوجه الله ، ويكون فيها من المغرورين ، لأنه لم يدرك وجه الآفة فيها .

الحلقة الثالثة

الاستعداد للحج بالعلم النافع

أيها المستمعون الكرام، حجاج بيت الله الحرام أهلاً بكم مع حلقة جديدة من برنامجكم (الحج وتزكية النفوس) . ومع جانب جديد من تزكية النفس في هذا الموسم العظيم ، ألا وهو تزكيتها من خلال الاستعداد للحج ، وهذا الجانب فيه ثلاث مسائل ، المسألة الأولى : الاستعداد بالعلم النافع . والمسألة الثانية : الاستعداد بالنفقة الطيبة . المسألة الثالثة : الاستعداد بالرفقة الصالحة . ولكل من هذه الجوانب أثر كبير في تزكية النفس .

ولكن كيف تكون تزكية النفس من خلال الاستعداد للحج بالعلم النافع ؟ إن الاستعداد للحج بالعلم النافع يكون بأمرين هامين :

الأمر الأول : الاستعداد بالعلم النافع فيما يتعلق بأعمال الحج ، فتعلم كيف كان هدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في حجه لتقتفي أثره ، تحقيقاً لتوجيهه (صلى الله عليه وسلم) لأئمة أن يأخذوا عنه مناسكهم، كما في صحيح مسلم من حديث جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) قال : رأيت النبي (صلى الله عليه وسلم) يرمي على راحلته يوم النحر ويقول: « لتأخذوا مناسككم فإني لا أدري لعلي لا أحج بعد حجتي هذه»^(١) .

فعلى الحاج أن يستعد بمعرفة صفة الحج على الهدي النبوي ، فيتعلم كيف يحرم على هدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، لا كما يرى الناس ، وكيف يطوف على هدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، لا كما يرى الناس ، وكيف يسعى على هدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، لا كما يرى الناس ، وكيف يقف على صعيد عرفات على هدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، لا كما يرى الناس ، وكيف يرمي الجمار على هدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، لا كما يرى الناس . إلى غير من أعمال الحج -

(١) كتاب المناسك ، حديث رقم ١٢٩٧ .

وسيكون لنا بإذن الله تعالى في حلقة قادمة وقفة مع هدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في حجه - .

أخي الحاج لو تأملت أحوال كثير من الناس في حجهم لرأيت أكثرهم مقلداً ، فهو إما ينظر للناس من حوله فيعمل كما يعملون دون النظر إلى صحة وسلامة ذلك العمل ، أو أنه جعل له قائداً يقوده في حجه يوجهه يمنة ويسرة ، ويدعو له وهو يردد وراءه ، وربما ردد دعاءً لا يفقهه ، أو قد يردده خطأً ، فيكون دعاءً عليه بدلاً من أن يكون دعاءً له . ومن كانت هذه حاله في حجه فهو كالإمعة: إن أحسن الناس أحسن ، وإن أساءوا أساء.

وما حصل لكثير من الحاجج هذا الأمر، إلا من قلة استعدادهم لحجهم بالعلم النافع، الذي يكون سبباً في قبول حجهم وسلامة أعمالهم، ومما يؤسف له أن كثيراً ممن هذه حاله من الناس المتعلمين ، وقد يكونون من أصحاب الشهادات العالية ، فكيف يعجز من هذه حاله عن الاستعداد للحج بتعلم كيفية الحج على الوجه الصحيح ، وما أيسر ذلك وما أسهله لمن طلبه .

وأما الأمر الآخر من الاستعداد للحج بالعلم بالنافع ، فهو العلم بما يتعلق بالسفر من عبادات وآداب ، لما في ذلك من تركية النفس وسلامتها من الآثام . فيتعلم على سبيل المثال ما يتعلق بالصلاة في السفر من قصر وجمع ، وما يتعلق بالمسح على الخفين إن احتاج له ، وما يتعلق بالطهارة من تيمم ونحوه ، وما يتعلق بالنافلة في السفر وجواز صلاحاتها على الراحلة على أي جهة ، لما في صحيح البخاري من حديث عامر بن ربيعة ، رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) وَهُوَ عَلَى الرَّاحِلَةِ يُسَبِّحُ (أي يصلي النافلة) يَوْمِي بِرَأْسِهِ قَبْلَ أَيِّ وَجْهِ تَوَجَّهَ، وَلَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) يَصْنَعُ ذَلِكَ فِي الصَّلَاةِ الْمَكْتُوبَةِ . وَقَالَ اللَّيْثُ حَدَّثَنِي يُونُسُ عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ قَالَ سَالِمٌ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ (رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا) يُصَلِّي عَلَى دَابَّتِهِ مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُسَافِرٌ، مَا يُبَالِي حَيْثُ مَا كَانَ وَجْهُهُ. قَالَ ابْنُ عُمَرَ: وَكَانَ (صلى

الله عليه وسلم) يُسَبِّحُ عَلَى الرَّاحِلَةِ قَبْلَ أَيِّ وَجْهِ تَوَجَّهَ، وَيُوتِرُ عَلَيْهَا غَيْرَ أَنَّهُ لَا يُصَلِّي عَلَيْهَا الْمَكْتُوبَةَ»^(١) .

ومما ينبغي للحاج أن يستعد به من العلم النافع في آداب السفر معرفة دعاء السفر والعودة ، كما كان هدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في ذلك ، لما في صحيح مسلم من حديث ابن عمر أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) كَانَ إِذَا اسْتَوَى عَلَى بَعِيرِهِ خَارِجًا إِلَى سَفَرٍ كَبَّرَ ثَلَاثًا ثُمَّ قَالَ (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ) اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعَثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمَنْظَرِ، وَسُوءِ الْمُنْقَلَبِ، فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ. وَإِذَا رَجَعَ قَاهُنَّ وَزَادَ فِيهِنَّ آيُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ »^(٢) .

وكذلك ما يقوله المسافر إذا نزل منزلاً ، كما كان هدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، لما في حديث خولة بنت حكيم السُّلَمِيَّة قالت : سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: «من نزل منزلاً، ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء، حتى يرتحل من منزله ذلك»^(٣) .

أخي المستمع الكريم ، إن زكاة النفس تحصل بالاستعداد للحج بالعلم النافع من وجوه كثيرة :

الأول : أنه وسيلة إلى الحج المبرور الذي جعل الله سبحانه وتعالى ثوابه الجنة ، لما في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال : «العمرة إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاء إلا الجنة»^(٤) .

(١) كتاب الجمعة ، حديث رقم ١٠٩٨ .

(٢) كتاب الحج ، حديث رقم ١٣٤٢ .

(٣) كتاب الذكر والدعاء ، حديث رقم ٢٧٠٨ .

(٤) كتاب الحج ، حديث رقم ١٧٧٣ .

الثاني : تحقيقاً للاقتداء برسول الله (صلى الله عليه وسلم) فقد أثنى الله سبحانه وتعالى على المقتدين به بقوله {لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيراً} .

الثالث : أنه علامة على إرادة الخير للعبد ، لما في صحيح البخاري من حديث معاوية (رضي الله عنه) قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وسلم) يقول: «من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين..»^(١). وتعلم كيفية الحج ومعرفته على الوجه الصحيح ، إنما هو من الفقه في الدين .

الرابع : أن الحرص على طلب العلم النافع، الذي يقوم به الدين، هو طريق للجنة لما في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : «... من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة»^(٢) .

الخامس : السلامة مما يقع فيه كثير من الناس من البدع والآثام في حجهم، نتيجة لجهلهم ، وقلة الاستعداد بالعلم لهذه الشعيرة العظيمة .

(١) كتاب العلم ، حديث رقم ٧١ .

(٢) كتاب الذكر والدعاء ، حديث ٢٦٩٩ .

الحلقة الرابعة

الاستعداد للحج بالنفقة الطيبة والرفقة الصالحة

أخي الحاج، تذكر أن حج بيت الله الحرام فرصة عظيمة لك لتطهير نفسك من رذائل الأخلاق وذنس الذنوب، وفرصة للتوبة مما قد وقعت فيه من معصية الله والتقصير في طاعته . وكما علمنا أن تزكية النفس في هذا الموسم العظيم يحصل لك من جوانب عديدة ، منها جانب الاستعداد للحج ، وهذا الجانب فيه ثلاث مسائل :-

المسألة الأولى : الاستعداد بالعلم النافع .

والمسألة الثانية : الاستعداد بالنفقة الطيبة.

المسألة الثالثة : الاستعداد بالرفقة الصالحة.

وقد سبق الحديث في الحلقة السابقة عن تزكية النفس من خلال الاستعداد بالعلم النافع .

أما ما يتعلق بالمسألة الثانية وهي الاستعداد في النفقة الطيبة وأثرها في تزكية النفس في هذا الموسم العظيم ، فاعلم أخي الحاج أنك مأمور بأكل الطيبات في جميع أحوالك كما في قوله سبحانه وتعالى { يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون }^(١) ، ولكن في الحج على الخصوص يكون الأمر أكد ، لأن الأكل الحلال سبب لتقبل الدعاء والعبادة ، وكم هي خسارة النفس عندما لا يقبل الحج بسبب النفقة الحرام، وربما تكون هذا الحجة هي الحجة الوحيدة في العمر .

ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة (رضي الله عنه) قال قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) : «أيها الناس إن الله طيب لا يقبل إلا طيبا، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين فقال { يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحا إني بما تعملون عليم } وقال { يا أيها

(١) سورة البقرة ، الآية ١٧٢ .

الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم} ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر، يمد يديه إلى السماء، يا رب! يا رب! ومطعمه حرام، ومشربه حرام، وملبسه حرام، وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك»^(١) .

فأنت في حجك تدعو كثيراً بقبول عملك، وصلاح نفسك، وغفران ذنوبك، وغير ذلك من خيري الدنيا والآخرة، فكيف ترجو تحقيق ذلك وأنت لم تطب نفقتك .

ولكن أخي الحاج ماذا تعني النفقة الطيبة لحجك؟ إنها الكسب الحلال، فإن كنت موظفاً فإن إخلاصك في عملك، وأمانتك فيما وليت عليه، ونصحك فيه، سبب في كسبك للأجر الحلال على هذا العمل أو الوظيفة، وبالتالي فإن نفقة حجك من هذا الجانب هي نفقة طيبة إن شاء الله تعالى .

وإن كنت أخي الحاج تاجراً فإن نصحك في تجارتك، وصدقك في معاملتك، وبعذك عن الغش والخديعة والاحتيال، سبب في كسبك الطيب، فإن كانت نفقة حجك منه فهي نفقة طيبة إن شاء الله تعالى . وهكذا الحال مهما كانت طبيعة عملك ونوع كسبك .

أخي الحاج ليس الحرص على الكسب الحلال هو من أجل النفقة للحج فحسب ، لا ، بل ليكون حجك هذا سبباً في زكاة نفسك في هذا الجانب، فتراجع نفسك وتقوم عملك وكسبك، ليكون مطعمك ومشربك وملبسك طول عمرك حلالاً، وكم من الخير تجنيه بهذا، فيكون الحج سبباً لزكاة نفسك وفلاحها.

أما المسألة الثالثة وهي الاستعداد للحج بالرفقة الصالحة ، هي أيضاً من أسباب زكاة النفوس في هذا الموسم العظيم . وإن كنت أخي المسلم محتاج للرفيق الصالح في جميع أحوالك، فأنت في الحج أحوج لهذا الرفيق، لأنه معين لك على أداء نسكك على شرع الله وهدى رسوله (صلى الله عليه وسلم) . وتأمل توجيه رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الرفيق الصالح ، كما ورد في صحيح البخاري من حديث أبي موسى رضي الله عنه عن النبي

(١) صحيح مسلم ، كتاب الزكاة ، حديث رقم ١٠١٥ .

(صلى الله عليه وسلم) قَالَ : «مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالسَّوِّءِ، كَحَامِلِ الْمِسْكِ، وَنَافِخِ الْكِيرِ، فَحَامِلِ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُخَذِّيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ يَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخِ الْكِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ يَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً»^(١) .

ولكن أخي الحاج ، أي رفيق تختار في رحلة نسكك ، إنه رفيق مجالسته شفاء ، وموعظته دواء ، تنتفع برؤيته قبل روايته ، حزنه في قلبه وبشره في وجهه ، رفيق خيره بادر وشره مضمحل ، قليل الكلام ، كثير العمل .

رفيق ليس عياباً ولا سباباً ، ولا غياباً ولا مرتاباً ، إذا ذُكر بالله ذكر ، وإذا أعطي شكر ، وإذا أبتلي صبر ... رفيق متسلح بالعلم والأدب ، إن نطق فبذكر ، وإن سكت فبكر ، وثيق الصلة بالله عقيدة وسلوكاً ، تعلماً وتعليماً.

رفيق معين على الخير مبعد عن الشر ، إن رأى منك حسنة عدها ، وإن رأى ثغرة سدها، إن جهلت علمك ، وإن غفلت ذكرك، وإن كسلت أعانك.

أخي كم تزكو نفسك في هذا الموسم العظيم ، بصحبة هذا النوع من الرفقاء ، وهل زكاة النفوس إلا بنهيها، عن الباطل وإعانتها على الخير، وتزويدها بالعلم النافع والعمل الصالح، وكل هذه الأمور أخي الحاج تحنيها بصحبة مثل هذا الرفيق .

(١) كتاي الذبائح والصيد ، حديث رقم ٥٥٣٤ .

الحلقة الخامسة

اغتنام الوقت في العمل الصالح

يعيش المسلمون هذه الأيام في موسم عظيم من مواسم الطاعات ، أيام عشر ذي الحجة ، التي أخبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عنها أن العمل فيها أفضل من العمل في سائر أيام العام على الإطلاق ، لما ورد في صحيح البخاري وغيره من حديث ابن عباس (رضي الله عنهما) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال : « ما العمل في أيام العشر أفضل من العلم في هذه . قالوا ولا الجهاد في سبيل الله ؟ قال : ولا الجهاد في سبيل الله إلا رجل خرج يخاطر بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء »^(١) .

وفي رواية للترمذي عن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَا مِنْ أَيَّامٍ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهِنَّ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الْأَيَّامِ الْعَشْرِ ، فَقَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا! الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: وَلَا الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، إِلَّا رَجُلٌ خَرَجَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَلَمْ يَرْجِعْ مِنْ ذَلِكَ بِشَيْءٍ »^(٢) .

دل هذا الحديث على أن العمل في هذه الأيام أحب إلى الله من العمل في أيام الدنيا من غير استثناء ، وفي رواية ما من أيام العمل فيها أفضل . ففيها يكون العمل أفضل من غيره ، وإن كان في غيرها مفضولاً ، واستثني من ذلك المجاهد الذي خرج بنفسه وماله ثم لم يرجع من ذلك بشيء ، فهذا الجهاد بخصوصه أفضل .

ومما يدل على فضل هذه الأيام ، أن الله سبحانه وتعالى أقسم بها بقوله {والفجر وليال عشر} والليالي العشر هي ليالي عشر ذي الحجة كما ذكره ابن كثير عن ابن

(١) كتاب العيدين ، حديث رقم ٩٦٩ .

(٢) كتاب الصوم ، حديث رقم ٧٥٧ (ترقيم أحمد شاكر) .

عباس وابن الزبير ومجاهد ، وغير واحد من السلف والخلف، وقيل فيها: العشر الأول من محرم^(١) ، وقيل العشر الأخير من رمضان ، والصحيح الأول كما ذكره ابن كثير .

ومن ذلك أيضاً اجتماع أمهات العبادات فيها : الصلاة والصوم ، والصدقة والحج ، والذكر والنسك .

وفيهما أفضل الأيام عند الله وهو يوم النحر كما في الحديث : أفضل الأيام عند الله يوم النحر ثم يوم القر^(٢) .

أيها المستمعون الكرام ، حجاج بيت الله الحرام ، إن فضل هذه الأيام يشترك فيها الحاج وغير الحاج ، إلا أن الحاج يتميز عن غيره في هذه الأيام بأنه يؤدي فيها عملاً من فضائل الأعمال وهو الحج ، كما أخبر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن فضله ، لما في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) قَالَ سُئِلَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «إِيمَانٌ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، قِيلَ ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: جِهَادٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، قِيلَ ثُمَّ مَاذَا؟ قَالَ: حَجٌّ مَبْرُورٌ»^(٣) .

فاجتمع للحاج في سبيل الله عمل من أفضل الأعمال، في أفضل أيام العام على الإطلاق ، ولا شك أن هذا الاجتماع فرصة عظيمة للحاج في تركية نفسه وذلك بالحرص على تحقيق الحج المبرور الذي ليس له جزاء إلا الجنة .

ومن جانب آخر فإن إدراك الحاج لقيمة هذه الأيام، واغتنامها في طاعة الله سبحانه وتعالى بما تيسر من أنواع الطاعات ، وصنوف القربات، له أثر عظيم في تركية النفس وفلاحها ، وأنواع الطاعات كثيرة ، ومنها على سبيل المثال :-

(١) ذكره ابن جرير ولم يعزه إلى أحد .

(٢) أخرجه الإمام أحمد وأبو داود برقم ١٧٦٥ .

(٣) كتاب الحج ، حديث رقم ١٥١٩ .

المحافظ على الصلاة في وقتها ، فهذا أيضاً من أفضل الأعمال ، كما أخبر بذلك رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، كما في صحيح البخاري ، من حديث ابنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: الصَّلَاةُ لَوْفَتِهَا، وَبُرُّ الْوَالِدَيْنِ، ثُمَّ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ^(١) . وهذا أمر عظيم يجب على الحرص عليه . وكيف يتصور من حاج قطع الفيافي والقفار ، وترك أهله وماله وعياله ، حاجاً في سبيل الله أن يفرط في الصلاة ، ومن فرط في الصلاة ففي حجه نظر .

ومما تزكو به نفس الحاج من الأعمال الصالحة في هذا الموسم العظيم ، حرصه على ما يتيسر له من الأعمال الفاضلة كالطواف والتلاوة والذكر والدعاء ، والصدقة ، وإرشاد الضال ، وإعانة المحتاج ، وخدمة الإخوان .

ولقد ضرب سلف هذه الأمة أمثلة رائعة في خدمة الإخوان في الحج ، فقد قال مجاهد: صحبت ابن عمر في السفر لأخدمه ، فكان يخدمني . وكان كثير منهم يشترط على أصحابه في السفر أن يخدمهم اغتناماً لأجر ذلك ، منهم : عامر بن عبدقيس ، وعمرو بن عتبة بن فرقد ، مع اجتهداهما في العبادة في أنفسهما ، وكذلك كان إبراهيم بن أدهم يشترط على أصحابه في السفر الخدمة والأذان . وكان ابن المبارك يطعم أصحابه في الأسفار أطيب الطعام وهو صائم ، وكان إذا أراد الحج من بلده مرو ، جمع أصحابه ، وقال : من يريد منكم الحج ؟ فيأخذ منهم نفقاتهم ، ، فيضعها عنده في صندوق فيقفل عليها ، ثم يحملهم وينفق عليهم أوسع النفقة ، ويطعمهم أطيب الطعام ، ثم يشتري لهم من مكة ما يريدون من الهدايا والتحف ، ثم يرجع بهم إلى بلده ، فإذا وصلوا صنع لهم طعاماً ، ثم جمعهم عليه ، ودعا بالصندوق الذي فيه نفقاتهم ، فرد إلى كل واحد نفقته.^(٢)

أيها المستمعون الكرام ، حجاج بيت الله الحرام ، من الأعمال التي تزكو بها النفوس في هذا الموسم العظيم : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خاصة في موسم الحج ، وفي المشاعر

(١) كتاب التوحيد ، حديث رقم ٧٥٣٤ .

(٢) انظر : ابن رجب الحنبلي ، لطائف المعارف ص ٢٤٧، ١٤٨ .

المقدسة ، فكم يرى الإنسان من الأخطاء التي تقع منهم في الحج فعليه أن يجتهد في توجيه الناس وإرشادهم بما يتييسر من قول وفعل ، ولكن كما قال سبحانه وتعالى { ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة } . فكثير من الناس في هذه المواسم بحاجة ماسة إلى من يوجههم ويرشدهم إلى ما يصلح حجتهم .

كما لا ننسى أيضاً طرفاً من الأعمال الفاضلة التي تزكو بها النفوس التي يمكن للحاج القيام بها ، وهي إطعام الطعام وسقاية الماء ، فهناك بعض من الحاج ينتقلون بين المشاعر لا يحملون معهم زاداً ، إما لفقده أو لفقد ما يحملونه عليه . وبالجملة أخي الحاج عليك أن تحرص على زكاة نفسك بإكثار الأعمال الصالحة في هذا الموسم العظيم .

الحلقة السادسة

من آداب الحج

أيها المستمعون الكرام ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأهلاً بكم مع هذه الحلقة من برنامجكم (الحج وتزكية النفوس) . نتأمل فيها تزكية النفس من خلال بعض آداب الحج .

أخي المستمع الكريم ، أخي الحاج ، إن للحج أثراً عظيماً في تزكية النفس ، وكما ذكرنا في حلقة سابقة ، ويحصل هذا الأثر للحاج من جوانب عديدة ذكرنا بعضها ، وفي هذه الحلقة نذكر بتزكية النفس من خلال ما ورد من آداب الحج ، في قوله سبحانه وتعالى بقوله { الْحُجَّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحُجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحُجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى وَاتَّقُونِ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ } .

ففي هذه الآية نهي عن الرفث ، وعن الفسوق ، وعن الجدال في الحج ، وفيها أمر بالتزود من التقوى .

إما الرفث فقد قال فيه ابن كثير : هو الجماع ، كما قال تعالى : { أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم } وكذلك يحرم تعاطي دواغيه من المباشرة والتقبيل ونحو ذلك ، كذلك التكلم به بحضرة النساء ، ويقول ابن عمر : الرفث إتيان النساء والتكلم بذلك للرجال والنساء إذا ذكروا ذلك بأفواههم . وقال ابن عباس : إنما الرفث ما قيل عند النساء . وقال عطاء بن أبي رباح : الرفث الجماع وما دونه من قول الفحش وكذا قال عمرو بن دينار . وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : الرفث غشيان النساء والقبلة والغمز ، وأن يعرض لها بالفحش من الكلام ونحو ذلك .

فعلى الحاج الذي يريد سلامة حجه وزكاة نفسه ، أن يتجنب ذلك كله ، وهناك نفر من الناس هداهم الله اعتادوا مثل هذا الكلام في مجالسهم ، من قبيل الممازحة ، فيقعون في فحش القول ، وربما لا يتورعون عن ذلك حتى في مواضع نسكهم وأيام حجهم ، ولعل التأمل في هذا الأدب من آداب الحج يكون سبيلاً في تقويم ألفاظهم وتحسين عباراتهم ، مما يعود

عليهم بالنفع العظيم في زكاة أنفسهم .

وأما الأدب الثاني هو قوله {ولا فسوق} قال ابن عباس: هي المعاصي، وكذا قال عطاء ومجاهد وغيرهم . وقال محمد بن إسحاق عن نافع عن ابن عمر، قال: الفسوق ما أصيب من معاصي الله صيداً أو غيره . وقال ابن عمر : الفسوق إتيان معاصي الله في الحرم، وقال آخرون: الفسوق ههنا السباب ، وقد يتمسك هؤلاء بما ثبت في الصحيح «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» . وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: الفسوق ههنا الذبح للأصنام، قال الله تعالى: {أو فسقاً أهل لغير الله به}، وقال الضحاك: الفسوق التنازع بالألقاب، والذين قالوا: الفسوق ههنا هو جميع المعاصي الصواب معهم . والله أعلم.

وقال القرطبي : قوله تعالى: {وَلَا فُسُوقٌ} يعني جميع المعاصي ، قاله ابن عباس وعطاء والحسن . وهو أصح، لأنه يتناول جميع الأقوال. قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْثُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ». «والحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة» خرّجه مسلم وغيره. وقال الفقهاء: الحج المبرور هو الذي لم يُعص الله تعالى فيه أثناء أدائه.

لذا فعلى الحاج أن يكون حريصاً على تحقيق الحج المبرور الذي يدرك به الجنة بعبده عن المعاصي في حجه ، وإذا كان الأمر كذلك فإن الحج المبرور له أثرٌ عظيم في نفس الحاج ، فيعود بعد حجه أحسن حالاً منه قبل ذلك .

أيها المستمعون الكرام، حجاج بيت الله الحرام ، وأما الأدب الثالث فهو قوله {ولا جدال في الحج} .

اختلفت العلماء في المعنى المراد به هنا : فقال ابن مسعود وابن عباس وعطاء: الجدال هنا أن تُماري مسلماً حتى تغضبه فينتهي إلى السباب ، فأما مذاكرة العلم فلا نهي عنها. وقال قتادة: الجدال السباب. وقال ابن زيد ومالك بن أنس: الجدال هنا أن يختلف الناس: أيهم صادف موقف إبراهيم عليه السلام، كما كانوا يفعلون في الجاهلية حين كانت قريش تقف في غير موقف سائر العرب، ثم يتجادلون بعد ذلك¹ فالمعنى على هذا التأويل: لا جدال في مواضعه. وقالت طائفة: الجدال هنا أن تقول طائفة: الحج اليوم، وتقول طائفة:

الحج غداً. وقال مجاهد وطائفة معه: الجدال المماراة في الشهور حسب ما كانت عليه العرب من النسيء، كانوا ربما جعلوا الحج في غير ذي الحجة، ويقف بعضهم بجمع وبعضهم بعرفة، ويتمارون في الصواب من ذلك.

فأياً كان معنى الجدال فإن الحاج منهي عنه ، وعليه أن يصرف همه لما يصلح حجه ، ويقربه من ربه ، وفي هذا الزمان نجد أن الجدال في زمان الحج ومكانه لا وجود له، بل يكون الجدال في أمور أخرى ، من الملاحظ على بعض الحجاج عدم التورع عن الجدل في أمور يسيرة فيما يتعلق بالمسكن أو المأكل أو المشرب أو نحو ذلك ، مما يوقعه في المحذور ويفوت عليه خيراً عظيماً .

أيها المستمعون الكرام ومن الآداب الواردة في الآية السالفة الذكر قوله {وتزودوا فإن خير الزاد التقوى} ، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال كَانَ أَهْلُ الْيَمَنِ يُحْجُونَ وَلَا يَنْزَوِدُونَ وَيَقُولُونَ نَحْنُ الْمُتَوَكِّلُونَ فَإِذَا قَدِمُوا مَكَّةَ سَأَلُوا النَّاسَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى { وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى }^(١) . أمر لهم بأخذ ما يحتاجونه من الزاد الدنيوي، منأكل ومشرب ونحوه ، فإن ذلك لا ينافي حقيقة التوكل علة الله سبحانه وتعالى .

وقوله {فإن خير الزاد التقوى} لما أمرهم بالزاد للسفر في الدنيا أرشدهم إلى زاد الآخرة، وهو استصحاب التقوى إليها، كما قال {وريشاً ولباس التقوى ذلك خير} لما ذكر اللباس الحسي نبه مرشداً إلى اللباس المعنوي، وهو الخشوع والطاعة والتقوى، وذكر أنه خير من هذا وأنفع .

وقيل: فيه تنبيه على أن هذه الدار ليست بدار قرار. فذكرهم الله تعالى سفر الآخرة وحثهم على تزود التقوى¹ فإن التقوى زاد الآخرة. قال الأعشى:

إِذْ أَنْتَ لَمْ تَرْحَلْ بِزَادٍ مِنَ التَّقَى وَلَا قَيْتَ بَعْدَ الْمَوْتِ مَنْ قَدْ تَزَوَّدَا

نَدِمْتَ عَلَى أَلَّا تَكُونُ كَمِثْلِهِ وَأَنْكَ لَمْ تَرُصِدْ كَمَا كَانَ أَرْصَدَا

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الحج ، حديث رقم ١٥٢٣ .

أخي الحاج ، احرص على هذا التوجيه الرباني العظيم ، وتزود لحجك ومن حجك بتقوى الله
سبحانه وتعالى ، وذلك باتقاء المنهيات ، وفعل الطاعات ، تدرك زكاة نفسك وفلاحها .

الحلقة السابعة

حجة النبي (صلى الله عليه وسلم)

أيها المستمعون الكرام ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأهلاً بكم مع هذه الحلقة من برنامجكم (الحج وتركبة النفوس) . نقف مع حجة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لنقتفي أثره ، ونهتدي بهديه (صلى الله عليه وسلم) ، فهو سبب عظيم في زكاة النفس وفلاحها .

روى مسلم في صحيحه من حديث جابر بن عبد الله (رضي الله عنه) حجة النبي (صلى الله عليه وسلم) حيث قال : «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَكَثَ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحْجْ، ثُمَّ أَذَّنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَاجٌّ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشَرًا كَثِيرًا، كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتِمَّ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ، فَخَرَجْنَا مَعَهُ، حَتَّى أَتَيْنَا ذَا الْحُلَيْفَةِ، فَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَيْفَ أَصْنَعُ؟ قَالَ اغْتَسِلِي وَاسْتُغْفِرِي بِثَوْبٍ وَأَحْرِمِي. فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ رَكِبَ الْقُصُوءَ حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ، نَظَرْتُ إِلَى مَدِّ بَصَرِي بَيْنَ يَدَيْهِ، مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشٍ وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَمِنْ خَلْفِهِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَعَلَيْهِ يَنْزِلُ الْقُرْآنُ، وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ، وَمَا عَمِلَ بِهِ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ، فَأَهْلًا بِالتَّوْحِيدِ لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنَّعْمَةَ لَكَ وَالْمُلْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ، وَأَهْلًا النَّاسُ بِهَذَا الَّذِي يُهْلُونَ بِهِ، فَلَمْ يَرُدَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ شَيْئًا مِنْهُ، وَلَزِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَلْبِيَّتَهُ، قَالَ جَابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَسْنَا نَنْوِي إِلَّا الْحَجَّ، لَسْنَا نَعْرِفُ الْعُمْرَةَ، حَتَّى إِذَا أَتَيْنَا الْبَيْتَ مَعَهُ، اسْتَلَمَ الرُّكْنَ فَرَمَلْنَا ثَلَاثًا وَمَشَى أَرْبَعًا، ثُمَّ نَفَذَ إِلَى مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَرَأَ (وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى) فَجَعَلَ الْمَقَامَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ،...، كَانَ يَقْرَأُ فِي الرُّكْعَتَيْنِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَقُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الرُّكْنِ فَاسْتَلَمَهُ، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الصَّفَا، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ (إِنَّ الصَّفَا

وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ) أَبَدًا بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ، فَبَدَأَ بِالصَّفَا فَرَقِي عَلَيْهِ حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَوَحَّدَ اللَّهَ، وَكَبَّرَهُ، وَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ أَنْجَزَ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ. ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ قَالَ مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ، حَتَّى إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي، سَعَى حَتَّى إِذَا صَعِدَتَا مَشَى، حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ فَقَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفا، حَتَّى إِذَا كَانَ آخِرُ طَوَافِهِ عَلَى الْمَرْوَةِ، فَقَالَ لَوْ أَنِّي اسْتَقْبَلْتُ مِنْ أَمْرِي مَا اسْتَدْبَرْتُ لَمْ أَسْقِ الْهَدْيَ وَجَعَلْتُهَا عُمْرَةً، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ لَيْسَ مَعَهُ هَدْيٌ فَلْيَحِلَّ وَلْيُجْعَلْهَا عُمْرَةً، فَقَامَ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ بْنِ جُعْشَمٍ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلْعَامِنَا هَذَا أَمْ لَا أَبَدٍ فَشَبَّكَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَصَابِعَهُ، وَاحِدَةً فِي الْأُخْرَى، وَقَالَ دَخَلَتِ الْعُمْرَةُ فِي الْحَجِّ مَرَّتَيْنِ، لَا بَلْ لِأَبَدٍ أَبَدٍ . وَقَدِمَ عَلَيَّ مِنَ الْيَمَنِ يُبْدِنِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَجَدَ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِنْ حَلٍّ وَلَبِسَتْ ثِيَابًا صَبِيغًا وَاسْتَحَلَّتْ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ عَلَيْهَا فَقَالَتْ إِنَّ أَبِي أَمَرَنِي بِهَذَا، قَالَ فَكَانَ عَلَيَّ يَقُولُ بِالْعِرَاقِ فَذَهَبْتُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُخَرِّشًا عَلَى فَاطِمَةَ لِلَّذِي صَنَعَتْ مُسْتَفْتِيًا لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا ذَكَرْتُ عَنْهُ، فَأَخْبَرْتُهُ أَنِّي أَنْكَرْتُ ذَلِكَ عَلَيْهَا. فَقَالَ: صَدَقْتُ، صَدَقْتُ مَاذَا قُلْتَ حِينَ فَرَضْتَ الْحَجَّ قَالَ قُلْتُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَهْلٌ بِمَا أَهَلَ بِهِ رَسُولُكَ. قَالَ فَإِنَّ مَعِيَ الْهَدْيَ فَلَا تَحِلُّ. قَالَ فَكَانَ جَمَاعَةُ الْهَدْيِ الَّذِي قَدِمَ بِهِ عَلَيَّ مِنَ الْيَمَنِ وَالَّذِي أَتَى بِهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِائَةً . قَالَ فَحَلَّ النَّاسُ كُلُّهُمْ وَفَضَرُوا إِلَّا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ هَدْيٌ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ ، تَوَجَّهُوا إِلَى مِيٍّ، فَأَهْلُوا بِالْحَجِّ وَرَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَصَلَّى بِهَا الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ، ثُمَّ مَكَثَ قَلِيلًا حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ، وَأَمَرَ بِقُبَّةٍ مِنْ شَعْرِ تُضْرَبُ لَهُ بِنَمْرَةٍ، فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَلَا تَشْكُ قُرَيْشٌ إِلَّا أَنَّهُ وَقِفٌ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ، كَمَا كَانَتْ قُرَيْشٌ تَصْنَعُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَأَجَازَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَتَى عَرَفَةَ، فَوَجَدَ الْقُبَّةَ قَدْ ضُرِبَتْ لَهُ بِنَمْرَةٍ فَنَزَلَ بِهَا، حَتَّى إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ أَمَرَ بِالْقَصْوَاءِ فَرُحِلَتْ لَهُ، فَأَتَى بَطْنَ الْوَادِي فَخَطَبَ النَّاسَ، وَقَالَ: إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا فِي بَلَدِكُمْ هَذَا، أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنَّ أَوَّلَ دَمٍ أَضَعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ

الْحَارِثُ كَانَ مُسْتَرْضِعًا فِي بَنِي سَعْدٍ فَقَتَلَتْهُ هُذَيْلٌ، وَرَبَا الْجَاهِلِيَّةَ مَوْضُوعٌ وَأَوَّلُ رَبًّا أَضْعُ رَبَانَا
رَبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَإِنَّهُ مَوْضُوعٌ كُلُّهُ، فَاتَّقُوا اللَّهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانٍ
اللَّهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللَّهِ، وَلَكُمْ عَلَيْهِنَّ أَنْ لَا يُوطِئَنَّ فُرُشَكُمْ أَحَدًا تَكْرَهُوْنَهُ، فَإِنْ
فَعَلْنَ ذَلِكَ فَاضْرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غَيْرَ مُبْرِحٍ، وَلَهُنَّ عَلَيْكُمْ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ، وَقَدْ تَرَكْتُ
فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنْ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابُ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟
قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ . فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَابَةَ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ،
وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَدْنَى ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ ثُمَّ
أَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ، وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئًا، ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى أَتَى
الْمَوْقِفَ، فَجَعَلَ بَطْنَ نَاقَتِهِ الْقُصُوءَ إِلَى الصَّخَرَاتِ، وَجَعَلَ حَبْلَ الْمَشَاةِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَاسْتَقْبَلَ
الْقِبْلَةَ فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ وَذَهَبَتِ الصُّفْرَةُ، فَلِيلًا حَتَّى غَابَ الْقُرْصُ، وَأَرْدَفَ
أُسَامَةَ خَلْفَهُ، وَدَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ شَنَقَ لِلْقُصُوءِ الزَّمامَ، حَتَّى إِنَّ
رَأْسَهَا لَيُصِيبُ مَوْرِكَ رَحْلِهِ، وَيَقُولُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى أَيُّهَا النَّاسُ السَّكِينَةُ السَّكِينَةُ، كَلَّمَا أَتَى حَبَلًا
مِنَ الْحَبَالِ أَرْخَى لَهَا قَلِيلًا حَتَّى تَصْعَدَ، حَتَّى أَتَى الْمُزْدَلِفَةَ فَصَلَّى بِهَا الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ بِأَذَانٍ
وَاحِدٍ وَإِقَامَتَيْنِ، وَلَمْ يُسَبِّحْ بَيْنَهُمَا شَيْئًا، ثُمَّ اضْطَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حَتَّى
طَلَعَ الْفَجْرُ، وَصَلَّى الْفَجْرَ حِينَ تَبَيَّنَ لَهُ الصُّبْحُ بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ، ثُمَّ رَكِبَ الْقُصُوءَ، حَتَّى أَتَى
الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ فَدَعَا وَكَبَّرَهُ وَهَلَّلَهُ وَوَحَّدَهُ فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى أَسْفَرَ جَدًّا،
فَدَفَعَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ، وَأَرْدَفَ الْفَضْلَ بْنَ عَبَّاسٍ، وَكَانَ رَجُلًا حَسَنَ الشَّعْرِ، أَبْيَضَ
وَسِيمًا، فَلَمَّا دَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّتَ بِهِ طُعْنٌ يُجْرِي، فَطَفِقَ الْفَضْلُ يَنْظُرُ
إِلَيْهِنَّ فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ عَلَى وَجْهِ الْفَضْلِ، فَحَوَّلَ الْفَضْلُ وَجْهَهُ
إِلَى الشَّقِّ الْآخَرِ يَنْظُرُ، فَحَوَّلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ مِنَ الشَّقِّ الْآخَرِ عَلَى
وَجْهِ الْفَضْلِ يَصْرِفُ وَجْهَهُ مِنَ الشَّقِّ الْآخَرِ يَنْظُرُ، حَتَّى أَتَى بَطْنَ مُحَسَّرٍ، فَحَرَكَ قَلِيلًا، ثُمَّ
سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوُسْطَى الَّتِي تَخْرُجُ عَلَى الْجُمُرَةِ الْكُبْرَى، حَتَّى أَتَى الْجُمُرَةَ الَّتِي عِنْدَ الشَّجَرَةِ
فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصِيَّاتٍ يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ مِنْهَا مِثْلَ حَصَى الْحَذَفِ، رَمَى مِنْ بَطْنِ الْوَادِي،
ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى الْمَنْحَرِ فَتَحَرَ ثَلَاثًا وَسِتِّينَ بِيَدِهِ، ثُمَّ أُعْطِيَ عَلِيًّا فَتَحَرَ مَا غَبَرَ، وَأَشْرَكَهُ فِي
هَدِيهِ، ثُمَّ أَمَرَ مِنْ كُلِّ بَدَنَةٍ بِبَضْعَةٍ فَجَعَلَتْ فِي قِدْرِ فَطَبَخَتْ فَأَكَلَا مِنْ لَحْمِهَا وَشَرَبَا مِنْ

مَرْفَعَهَا، ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَفَاضَ إِلَى الْبَيْتِ، فَصَلَّى بِمَكَّةَ الظُّهْرَ، فَأَتَى
بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَسْتَفُونَ عَلَى زَمَرَمَ، فَقَالَ: أَنْزِعُوا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَلَوْلَا أَنْ يَغْلِبَكُمْ النَّاسُ
عَلَى سِقَايَتِكُمْ لَنَزَعْتُ مَعَكُمْ، فَنَاولُوهُ دَلْوًا فَشَرِبَ مِنْهُ ^(١). هكذا ساق جابر بن عبد الله
(رضي الله عنه) كيفية حجة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لعلها تكون لنا دليلاً لنا في
حجنا ، ونبراساً نَهْتَدِي بِهِ طَلِباً لِفَلاحنا وَزَكاة أَنْفُسنا .

(١) كتاب الحج ، حديث رقم ١٢١٨ .

الحلقة الثامنة

تزكية النفس في يوم عرفة

أيها المستمعون الكرام ، حجاج بيت الله الحرام ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأهلاً بكم مع هذه الحلقة من برنامجكم (الحج وتزكية النفس) . نتأمل من خلالها فرصة الحاج في تزكية نفسه في هذا اليوم العظيم ، يوم عرفة ، يوم العتق من النار ، يوم يباهي الله سبحانه وتعالى بأهل الموقف ملائكته ، لما في صحيح مسلم من حديث عائشة (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ، وَإِنَّهُ لَيَدْنُو ثُمَّ يُبَاهِي بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ فَيَقُولُ مَا أَرَادَ هَؤُلَاءِ »^(١) . وفي رواية للإمام أحمد : «انظروا إلى عِبَادِي أَتَوْنِي شُعْنًا غُبْرًا»^(٢) .

أخي الحاج ، تذكر أن نعمة الله سبحانه وتعالى عليك عظيمة بإدراك هذا الموقف العظيم ، وأن تكون من جملة عباد الله سبحانه وتعالى الذين يباهي بهم ملائكته ، وإن من تمام الله نعمة الله سبحانه وتعالى عليك أن يكتب لك عتقه من النار من جملة العتقاء ، في هذا اليوم العظيم ، كما ورد في الحديث السابق «مَا مِنْ يَوْمٍ أَكْثَرَ مِنْ أَنْ يُعْتَقَ اللَّهُ فِيهِ عَبْدًا مِنَ النَّارِ مِنْ يَوْمِ عَرَفَةَ» .

أخي الحاج إذا كان الأمر كذلك فلتعلم أن هذا الموقف العظيم ، وهذا النسك من مناسك حج هو فرصة لزكاة النفس وطهارتها ، فعليك أن تحرص على هذا الفضل العظيم الذي جعله الله سبحانه وتعالى للواقفين بصعيد عرفات من حجاج بيت الله الحرام ، ولتعلم أن هذا يحصل لك من وجوه كثيرة في هذا اليوم العظيم ، ومن ذلك على سبيل المثال :-

١ - إن من زكاة النفس في هذا اليوم الحرص على هدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فيه ، فخير الهدى هدي رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فقد صلى رسول الله (صلى الله

(١) كتاب الحج ، حديث رقم ١٣٤٨ .

(٢) حديث رقم ٧٠٤٩ .

عليه وسلم) الفجر يوم عرفة في منى ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس، وأمر بقبة من شعر فضربت له بنمرة^(١)، فسار رسول الله حتى نزل بها، حتى إذا زاغت الشمس أمر بالقصواء^(٢) فرحلت له، فأتى بطن الوادي فخطب الناس خطبة بليغة، ثم صلى الظهر والعصر ولم يصل بينهما شيئا، فركب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حتى أتى الموقف، فجعل بطن ناقته القصواء إلى الصخرات، وجعل جبل المشاة بين يديه، واستقبل القبلة، فلم يزل واقفاً بعرفة حتى غربت الشمس، وبدأت الصفرة قليلا، حتى غاب القرص، وأردف أسامة خلفه، ودفع رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وقد شنع للقصواء الزمام، حتى إن رأسها ليصيب مورك الرحل، ويقول بيده اليمنى «السكينة السكينة»^(٣). والأمر الذي يجب التنبيه له هو على الإنسان يجب ألا يشق على نفسه للنزول حيث نزل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) والوقوف حيث وقف (صلى الله عليه وسلم)، لأن ذلك لا ييسر خاصة في هذا الزمان مع كثرة الحجاج وشدة الزحام، بل عليه أن ينزل حيث تيسر له النزول من صعيد عرفات. ويكون موقفه داخل حدود عرفات وأن لا يدفع منه إلا بعد أن يتحقق غروب الشمس.

٢- استشعار عظمة هذا اليوم، الذي يجتمع الناس فيه على صعيد واحد بلباس واحد يدعون رباً واحداً، لا فرق بين الرئيس والمرؤوس، ولا بين الأمير والمأمور، تلهج الألسن بالتضرع إلى الله، وترفع الأكف طلباً لما عند الله، وتذرف الدموع خشية وخوفاً من الله. يتذكر بهذا اليوم يوماً آخر أعظم منه، وأشد خوفاً، يوم يجمع الأولين والآخرين في صعيد المحشر يوم القيامة، لما في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ (صلى الله عليه وسلم) أُتِيَ بِلَحْمٍ، فَرُفِعَ إِلَيْهِ الدِّرَاعُ وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، فَتَهَشَّ مِنْهَا نَهَشَةً، ثُمَّ قَالَ: أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهَلْ تَذَرُونَ مِمَّ ذَلِكَ؟ يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ الْأُولَى وَالْآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، يُسْمِعُهُم الدَّاعِيَ، وَيَنْفُذُهُمُ الْبَصَرَ، وَتَذَرُوهُ الشَّمْسُ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْعَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لَا يُطِيقُونَ وَلَا

(١) يسن النزول بها قبل الزوال، فإذا زالت الشمس صلى الظهر والعصر ثم دخل الموقف. (انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ٨ / ١٨٠).

(٢) اسم لناقة رسول الله (صلى الله عليه وسلم).

(٣) انظر: صحيح مسلم، كتاب الحج، باب حجة النبي (صلى الله عليه وسلم).

يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلَا تَرَوْنَ مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلَا تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: عَلَيْكُمْ بِآدَمَ، فَيَأْتُونَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللَّهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلَائِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا قَدْ بَلَغَنَا. فَيَقُولُ آدَمُ: إِنَّ رَبِّي قَدْ غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَبًا لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ وَإِنَّهُ قَدْ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُهُ، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ... فينتقلون من نبي إلى نبي، حتى يأتون مُحَمَّدًا (صلى الله عليه وسلم) فَيَقُولُونَ يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتِمُ الْأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلَا تَرَى إِلَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَأَنْطَلِقُ فَأَتِي تَحْتَ الْعَرْشِ، فَأَقْعُ سَاجِدًا لِرَبِّي عَزَّ وَجَلَّ ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ سَلْ تُعْطَهُ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ أُمِّي يَا رَبِّ أُمِّي يَا رَبِّ أُمِّي يَا رَبِّ... الحديث^(١). إن تذكر هذا الموقف العظيم يجعل الإنسان يستعد له طلباً للنجاة فيه.

٣- إن من تركية النفس في هذا اليوم العظيم، الاجتهاد في الدعاء والتضرع لله سبحانه وتعالى والانكسار بين يديه. مع الحرص على الخلوة بالنفس، فهو أفرغ للقلب. فيدعو الحاج بخيري الدنيا والآخرة لنفسه وإخوانه بظهر الغيب فهي دعوة مستجابة بخبر الصادق المصدوق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لما في صحيح عَنْ صَفْوَانَ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَفْوَانَ وَكَانَتْ تَحْتَهُ الدَّرْدَاءُ قَالَ قَدِمْتُ الشَّامَ فَأَتَيْتُ أَبَا الدَّرْدَاءِ فِي مَنْزِلِهِ فَلَمْ أَجِدْهُ وَوَجَدْتُ أُمَّ الدَّرْدَاءِ فَقَالَتْ أَتُرِيدُ الْحَجَّ الْعَامَ فَقُلْتُ نَعَمْ قَالَتْ فَادْعُ اللَّهَ لَنَا بِخَيْرٍ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ دَعْوَةُ الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ لِأَخِيهِ بِظَهْرِ الْغَيْبِ مُسْتَجَابَةٌ عِنْدَ رَأْسِهِ مَلَكٌ مُوَكَّلٌ كُلَّمَا دَعَا لِأَخِيهِ بِخَيْرٍ قَالَ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِهِ آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلٍ^(٢).

(١) كتاب تفسير القرآن، حديث ٤٧١٢.

(٢) كتاب الذكر والدعاء، حديث رقم ٢٧٣٣.

٤ - الحرص على الدعاء الوارد في هذا الموقف العظيم وهو قول (لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير) لما في سنن الترمذي أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: « خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ عَرَفَةَ وَخَيْرُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »^(١) .

أخي الحاج احرص في هذا اليوم العظيم على تركية نفسك وفلاحها . لعلك تكون من العتقاء من النار في هذا اليوم العظيم .

(١) وهو من دعاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في هذا اليوم ، أخرجه الترمذي ، وحسنه الالباني في صحيح الجامع برقم ٣٢٦٩ .

الحلقة التاسعة

ليشهدوا منافع لهم

أيها المستمعون الكرام ، حجاج بيت الله الحرام ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأهلاً بكم مع هذه الحلقة من برنامجكم (الحج وتركية النفوس) . نتأمل في جانب من تركية النفس من خلال منافع الحج ، كما في قوله سبحانه وتعالى {لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ} .

قال ابن عباس: {ليشهدوا منافع لهم} منافع الدنيا والآخرة، أما منافع الآخرة فريضان الله تعالى، وأما منافع الدنيا فما يصيبون من منافع البدن، والذبائح والتجارات، وكذا قال مجاهد وغير واحد: إنها منافع الدنيا والآخرة كقوله: {ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم} .

أيها المستمعون الكرام ، حجاج بيت الله الحرام ، إن مما تركو به النفس في هذه الموسم العظيم تحقيق النفع الأخروي المشار إليه في الآية الكريمة ، وذلك بالحرص على رضوان الله سبحانه وتعالى من خلال القيام بهذا النسك العظيم بإخلاص لله ومتابعة لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، والإكثار فيه من أنواع الطاعات ، وصنوف القربات .

ومن المنافع الأخروية في هذا الموسم العظيم من يحصل للمسلم من الاجتماع والتعرف على إخوانه المسلمين من شتى بقاع الأرض ، تلك المعرفة والاجتماع على الذي يعود على الإنسان بالخير ، من التذكير بالله سبحانه وتعالى ، ومدراسة العلم ، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، والتعاون على البر والتقوى فيما من شأنه تحقيق الخير لهذه الأمة، ولقد أمر الله سبحانه وتعالى عباده المؤمنين بالتعاون على البر والتقوى ، كما في قوله سبحانه {وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان} .

ومن المنافع الأخروية في هذا الموسم العظيم ما يحصل للإنسان من إعانة على طاعة

الله سبحانه وتعالى ، وذلك مما يراه من كثرة الطائعين ، الخاشعين الخاضعين لله سبحانه وتعالى ، فيرى كثيراً ممن حوله ، ما بين راکع وساجد ، وقائم وقاعد يدعو الله سبحانه وتعالى ويتلو كتابه ، وما بين طائف بالبيت وساع بين الصفا والمروة ، وغير ذلك من العبادات المتنوعة في هذا الموسم العظيم ، فيكون هذا تنشيطاً للإنسان ، وعوناً له على طاعة الله سبحانه وتعالى .

ومن المنافع الأخروية التي يشهدها الحاج في هذا الموسم العظيم صلاته في المسجد الحرام ، تلك الصلاة التي ورد فيها الأجر العظيم ، لما في سنن ابن ماجه من حديث جابر (رضي الله عنه) أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «صَلَاةٌ فِي مَسْجِدِي أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ إِلَّا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ وَصَلَاةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِائَةِ أَلْفِ صَلَاةٍ فِيمَا سِوَاهُ»^(١) .

ومما تتحقق به المنافع الأخروية وتركو به النفس في هذا الموسم العظيم ، الصبر على مشقة النسك ، فإن الإنسان في الحج ربما تعرض لبعض المشاق التي لم يعهدها في حياته العادية ، كما يحصل له من شدة الزحام ، أو كثرة المشي ، أو عدم ملائمة المسكن أو المأكل والمشرب ، في هذه الأيام التي يقضي فيها نسكه ، لأنه يعيش ضروفاً صعبة في نواحي عديدة، فعلى سبيل المثال يجد الحاج صعوبة بالتنقل بين المشاعر سواء على سيارة ، أو ماشياً على قدميه ، لكثرة الزحام ، فرمما قضى الساعات الطويلة في الانتقال من مكان إلى مكان . إضافة إلى ذلك ما يصيب الحاج من المشقة في الطواف أو السعي أو رمي الجمرات ونحو ذلك من الصعوبات التي يتعرض لها الحاج عادة . فعلى الحاج أن يمنع نفسه عن الضجر والسآمة ، ويوطنها على الصبر، محتسباً في ذلك الأجر العظيم الذي وعد الله به سبحانه وتعالى الصابرين حين قال : {إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب} ، وإذا كان هذا الوعد للصابرين بشكل عام ، فكيف يكون جزاء الصابرين على طاعة الله سبحانه وتعالى .

(١) كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، حديث رقم ١٤٠٦ .

أخي المستمع الكريم ، أخي الحاج ، من المنافع الأخروية لهذا الموسم العظيم التي تكون سبباً في زكاة النفس أن يتأمل الحاج أنه تكبد المشاق ، وقطع الفيافي والقفار تلبية لنداء الله على لسان إبراهيم عليه السلام { وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق } كل ذلك من أجل طاعة الله سبحانه وتعالى وطلباً لرضوانه . لا بد أن يعلم أن الله سبحانه وتعالى طلب منه عبادات أخرى هي أيسر من الحج ، و لا تحتاج إلى تلك المشاق والأسفار ، لعل ذلك يكون دافعاً له ومنشطاً في الحرص على تلك العبادات .

فيكون دافعاً له للمحافظة على الصلوات الخمس ، تلبية لقوله سبحانه { حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ * فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَأَدْكُوا لِلَّهِ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ } . المحافظة على الصلوات في أوقاتها وحفظ حدودها وأدائها في أوقاتها، كما ثبت في الصحيحين عن ابن مسعود، قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي العمل أفضل ؟ قال: «الصلاة في وقتها». قلت: ثم أي ؟ قال: «الجهاد في سبيل الله». قلت: ثم أي ؟ قال «برّ الوالدين»، قال: حدثني بهنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو استزدته لزادني. ومما يحسن التنبيه عليه في هذا الجانب ما يقع فيه بعض المسلمين من التهاون بالصلاة قبل أدائه فريضة الحج، فإذا حج حرص على أدائها . وهذا على خطر عظيم لأنه ربما أدركه الموت قبل أداء فريضة الحج ، ثم إن فريضة الصلاة فريضة مستقلة لا يتعلق أداؤها بأداء فريضة الحج .

أخي المستمع الكريم ، أخي الحاج ، ومما يجنب التنبيه له في هذا الجانب الحرص على سلامة النفس مما يكون سبباً في حرمانها من هذه المنافع العظيمة ، وذلك بالبعد عن الآثام، وخاصة إيذاء حجاج بيت الله الحرام ، إما بالقول أول الفعل ، ونرى في موسم الحج فئة من الناس لا يباليون في هذه الجانب ، فلا يتورعون عن إيذاء الناس في سبيل تحقيق مصالحهم، فتجد بعضاً منهم يؤذي الناس في الطواف أو السعي، بمزاحمتهم في سبيل أن يفسح لنفسه ومن معه . وتجد بعضاً منهم يؤذي الناس في الطرقات بسيارته في سبيل أن يسلك الطريق هو . ومنهم من يؤذي الناس برفع صوته فيشوش على من حوله من الداعين والمصلين . ومنهم

يؤدي الناس بالاستحواذ على المنافع العامة فيحرم الناس منها .

وعلى العموم يا حجاج بيت الله الحرام إن هذا الموسم هو فرصة لتحقيق المنافع
الأخروية، التي هي سبب لزكاة النفس ، فلا بد أن يحرص الحاج على أن يكون له النصيب
الأكبر من ذلك .

الحلقة العاشرة

الذكر أيام التشريق

أيها المستمعون الكرام ، حجاج بيت الله الحرام ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأهلاً بكم مع هذه الحلقة من برنامجكم (الحج وتزكية النفس) . نتابع فيها تزكية الأنفس من خلال أعمال الحج وشعائره ، وأيامه الفضيلة .

قال سبحانه وتعالى {وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} .

قال ابن عباس (رضي الله عنهما) : «وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ أَيَّامُ الْعَشْرِ وَالْأَيَّامِ الْمَعْدُودَاتِ أَيَّامُ التَّشْرِيقِ»^(١) .

وقال عكرمة {واذكرو الله في أيام معدودات} يعني التكبير في أيام التشريق بعد الصلوات المكتوبات الله أكبر الله أكبر . وفي صحيح مسلم : عَنْ ثُبَيْشَةَ الْهُذَلِيَّ قَالَتْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامٌ أَكُلٍ وَشُرْبٍ ، وَذِكْرٍ لِلَّهِ^(٢) . وفي مسند الإمام أحمد عَنْ مَسْعُودِ بْنِ الْحَكَمِ الْأَنْصَارِيِّ ثُمَّ الزُّرْقِيِّ عَنْ أُمِّهِ أَنَّهَا حَدَّثَتْهُ قَالَتْ لَكَأَيِّ أَنْظُرُ إِلَى عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ عَلَى بَعْلَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْبَيْضَاءِ حِينَ وَقَفَ عَلَى شَعْبِ الْأَنْصَارِ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ وَهُوَ يَقُولُ أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ إِنَّهَا لَيْسَتْ بِأَيَّامٍ صِيَامٍ إِنَّمَا هِيَ أَيَّامٌ أَكُلٍ وَشُرْبٍ وَذِكْرٍ^(٣) .

أخي الحاج ، هذه أيام فضيلة، على الحاج أن يحرص فيها على الاشتغال بذكر الله سبحانه وتعالى ، وخاصة التكبير ، فقد ثبت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يكبر في قبه فيكبر أهل السوق بتكبيره حتى ترتج منى تكبيراً، ويتعلق بذلك أيضاً التكبير وذكر الله

(١) ، صحي البخاري ، كتاب الجمعة .

(٢) كتاب الصيام ، حديث رقم ١١٤١ .

(٣) المسند ، حديث رقم ٧١٠ .

عند رمي الجمرات كل يوم من أيام التشريق . وقد جاء في الحديث الذي رواه أبو داود وغيره: إنما جعل الطواف بالبيت والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار لإقامة ذكر الله عز وجل.

والأيام المعدودات هي الثلاثة التي بعد يوم النحر، وليس يوم النحر منها^١ لاجتماع الناس أنه لا يَنْفَرُ أحدٌ يوم النَّفَر وهو ثاني يوم النحر، ولو كان يوم النحر في المعدودات لساغ أن يَنْفَر مَنْ شاء متعجلاً يوم النَّفَر^١ لأنه قد أخذ يومين من المعدودات^(١).

أخي المستمع الكريم، أخي الحاج ، اعلم أن الأمر بذكر الله سبحانه وتعالى في هذا الأيام الفاضلة يدخل فيه الحاج وغير الحاج ، فالحاج خوطب بالتكبير عند رمي الجمار، وعلى ما رُزق من بهيمة الأنعام في الأيام المعلومات وعند أدبار الصلوات دون تَلْيِية ، وغير الحاج كذلك على ما رزق من بهيمة الأنعام خصوصاً ، ونعم الله عموماً .

قال القرطبي : الذي عليه فقهاء الأمصار، والمشاهير من الصحابة والتابعين، على أن المراد بالتكبير كل أحد . وخصوصاً في أوقات الصلوات . فيكبر عند انقضاء كل صلاة . كان المصلي وحده أو في جماعة . تكبيراً ظاهراً في هذه الأيام، اقتداء بالسلف رضي الله عنهم^(٢).

واختلف العلماء في طرقي مدّة التكبير^١ فقال عمر بن الخطاب وعليّ بن أبي طالب وابن عباس: يُكَبَّر من صلاة الصبح يوم عرفة إلى العصر من آخر أيام التشريق. وقال ابن مسعود وأبو حنيفة: يُكَبَّر من غداة عرفة إلى صلاة العصر من يوم النحر. وخالفاه صاحباه فقالا بالقول الأول، قول عمر وعليّ وابن عباس رضي الله عنهم^١ فاتفقوا في الابتداء دون الانتهاء. وقال مالك: يكبر من صلاة الظهر يوم النحر إلى صلاة الصبح من آخر أيام التشريق^١ وبه قال الشافعي، وهو قول ابن عمر وابن عباس أيضاً. وقال زيد بن ثابت: يُكَبَّر من ظهر يوم النحر إلى آخر أيام التشريق. قال ابن العربي: فأما من قال: يكبر يوم عرفة ويقطع العصر من يوم النحر فقد خرج عن الظاهر^١ لان الله تعالى قال: { فِي أَيَّامٍ

(١) انظر تفسير القرطبي .

(٢) انظر تفسير القرطبي ، سورة البقرة ، الاية ٢٠٣ .

مَعْدُودَاتٍ { وأيامها ثلاثة^١ وقد قال هؤلاء: يُكَبَّرُ في يومين^١ فتركوا الظاهر لغير دليل. وأما من قال يوم عرفة وأيام التشريق، فقال: إنه قال: {فَإِذَا أَفْضُتُمْ مَنْ عَرَفَاتٍ} (البقرة: ١٩٨)، فذكر «عرفات» داخل في ذكر الأيام، هذا كان يصح لو كان قال: يُكَبَّرُ من المغرب يوم عرفة^١ لأن وقت الإفاضة حينئذ، فأما قبل فلا يقتضيه ظاهر اللفظ، ويلزمه أن يكون من يوم التروية عند الحلول بمضى.

ويستفاد من هذه الأقوال أن الذي قال التكبير من صلاة الفجر يوم عرفة إلى صلاة العصر من آخر أيام التشريق إنما هو للتكبير أدبار الصلوات لغير الحاج ، وأما الحاج فإنه يبدأ بالتكبير من صلاة الظهر يوم النحر ، لأنه مشغول بالتلبية قبل ذلك ، كما يشرع له التكبير في غير أدبار الصلوات كما ورد في صحيح البخاري أن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُكَبِّرُ فِي قُبَّتِهِ بِمَنْىَ فَيَسْمَعُهُ أَهْلُ الْمَسْجِدِ فَيُكَبِّرُونَ وَيُكَبِّرُ أَهْلُ الْأَسْوَاقِ حَتَّى تَرْتَجَّ مِنْى تَكْبِيرًا وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يُكَبِّرُ بِمَنْىَ تِلْكَ الْأَيَّامَ وَخَلَفَ الصَّلَوَاتِ وَعَلَى فِرَاشِهِ وَفِي فُسْطَاطِهِ وَمَجْلِسِهِ وَمَمَشَاهُ تِلْكَ الْأَيَّامَ جَمِيعًا وَكَانَتْ مَيْمُونَةُ تُكَبِّرُ يَوْمَ النَّحْرِ وَكُنَّ النِّسَاءُ يُكَبِّرْنَ خَلْفَ أَبَانِ بْنِ عُثْمَانَ وَعُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ لَيَالِي التَّشْرِيقِ مَعَ الرِّجَالِ فِي الْمَسْجِدِ^(١) .

وإذا علمت ذلك أخي الحاج فماذا تقول في تكبيرك ؟ ورد في صيغة التكبير صفات متعددة عن بعض السلف ، منها : الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله ، والله أكبر ، الله أكبر والله الحمد . وهذا قول عمر وعلي وابن مسعود ، وبه قال الثوري ، وأبو حنيفة ، وإسحاق ، وابن المبارك إلا أنه زاد على ما هدانا لقوله {لتكبروا الله على ما هداكم}^(٢) .

ومن صيغ التكبير ما أخرجه عبد الرزاق بسند صحيح عن سلمان ، قال : «كبروا الله ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر كبيراً»^(٣) . كما ورد غير عن السلف ، واعلم أخي الحاج أن الأمر في ذلك واسع ، فالمهم أن يشغل الإنسان نفسه في هذه الأيام بذكر الله

(١) كتاب الجمعة .

(٢) ابن قدامة ، المغني ٣٩٤/٢ .

(٣) ابن حجر ، فتح الباري ٤٦٢/٣ .

سبحانه وتعالى وعدم الغفلة ، لان بعض الناس ربما غفل في هذه الأيام ، لأنها أيام عيد
فينشغل بالأكل والشرب واللهو .

الحلقة الحادية عشرة

إبراهيم عليه السلام وبناء البيت العتيق

الحمد لله الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين ، وأشهد أن لا إله إلا الله، الملك الحق المبين ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، الصادق الوعد الامين ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين، أما بعد :-

أيها المستمعون الكرام ، حجاج بيت الله الحرام ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأهلاً بكم مع هذه الحلقة من برنامجكم (الحج وتزكية النفس) . ولنعلم أنه من تزكية النفس في هذا الموسم العظيم ، التأمل في تلك الاحداث العظيمة التي حصلت في هذه البقاع المقدسة ، وخاصة ما كان مرتبطاً منها بأنبياء الله عليهم السلام .

ومن تلك الاحداث قصة إبراهيم عليه السلام في هذه البقاع الطاهرة ، كما في صحيح البخاري ، من حديث ابن عباس (رضي الله عنهما) قال : « أَوَّلَ مَا اتَّخَذَ النَّسَاءُ الْمِنْطَقَ مِنْ قَبْلِ أُمِّ إِسْمَاعِيلَ اتَّخَذَتْ مِنْطَقًا لَتُعَقِّيَ أَثَرَهَا عَلَى سَارَةٍ، ثُمَّ جَاءَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ وَبَابُهَا إِسْمَاعِيلُ وَهِيَ تُرْضِعُهُ، حَتَّى وَضَعَهُمَا عِنْدَ الْبَيْتِ، عِنْدَ دَوْحَةٍ فَوْقَ زَمْزَمَ فِي أَعْلَى الْمَسْجِدِ، وَلَيْسَ بِمَكَّةَ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ، وَلَيْسَ بِهَا مَاءٌ، فَوَضَعَهُمَا هُنَالِكَ وَوَضَعَ عِنْدَهُمَا جِرَابًا فِيهِ تَمْرٌ وَسِقَاءٌ فِيهِ مَاءٌ، ثُمَّ قَفَى إِبْرَاهِيمُ مُنْطَلِقًا، فَتَبِعَتْهُ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ فَقَالَتْ : يَا إِبْرَاهِيمُ أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرَكُنَا بِهَذَا الْوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ؟ فَقَالَتْ لَهُ ذَلِكَ مِرَارًا، وَجَعَلَ لَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا، فَقَالَتْ لَهُ: أَلَلَّهُ الَّذِي أَمَرَكَ بِهَذَا؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَتْ: إِذَنْ لَا يُضَيِّعُنَا. ثُمَّ رَجَعَتْ فَانْطَلَقَ إِبْرَاهِيمُ حَتَّى إِذَا كَانَ عِنْدَ الثَّنِيَّةِ، حَيْثُ لَا يَرُونَهُ اسْتَقْبَلَ بِوَجْهِهِ الْبَيْتَ، ثُمَّ دَعَا بِهَوْلَاءِ الْكَلِمَاتِ وَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ : { رَبَّنَا }^(١) إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ { حَتَّى بَلَغَ { يَشْكُرُونَ } وَجَعَلْتَ أُمُّ إِسْمَاعِيلَ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيلَ وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ

(١) في الأصل : رب .

Σ.

جاءَ رَوْحُكَ فَأَقْرَبِي عَلَيْهِ السَّلَامَ وَمُرِيهِ يُثَبِّتُ عَتَبَةَ بَابِهِ، فَلَمَّا جَاءَ إِسْمَاعِيلُ قَالَ هَلْ أَتَاكُمْ مِنْ أَحَدٍ قَالَتْ نَعَمْ أَتَانَا شَيْخٌ حَسَنُ الْهَيْئَةِ وَأَتْنَتْ عَلَيْهِ فَسَأَلَنِي عَنْكَ فَأَخْبَرْتُهُ فَسَأَلَنِي كَيْفَ عَيْشُنَا فَأَخْبَرْتُهُ أَنَا بِخَيْرٍ قَالَ فَأَوْصَاكَ بِشَيْءٍ قَالَتْ نَعَمْ هُوَ يَقْرَأُ عَلَيْكَ السَّلَامَ وَيَأْمُرُكَ أَنْ تُثَبِّتَ عَتَبَةَ بَابِكَ، قَالَ ذَاكَ أَبِي وَأَنْتِ الْعَتَبَةُ أَمَرَنِي أَنْ أُمْسِكَكَ، ثُمَّ لَبِثَ عَنْهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذَلِكَ وَإِسْمَاعِيلُ يَبْرِي نَبْلًا لَهُ تَحْتَ دَوْحَةٍ، قَرِيبًا مِنْ زَمْزَمَ فَلَمَّا رَأَاهُ قَامَ إِلَيْهِ فَصَنَعَ كَمَا يَصْنَعُ الْوَالِدُ بِالْوَلَدِ وَالْوَلَدُ بِالْوَالِدِ، ثُمَّ قَالَ: يَا إِسْمَاعِيلُ إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي بِأَمْرٍ قَالَ فَاصْنَعْ مَا أَمَرَكَ رَبُّكَ قَالَ وَتُعِينُنِي قَالَ وَأُعِينُكَ قَالَ فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَبْنِيَ هَاهُنَا بَيْتًا وَأُشَارَ إِلَى أَكْمَةِ مُرْتَفَعَةٍ عَلَى مَا حَوْلَهَا، قَالَ فَعِنْدَ ذَلِكَ رَفَعَا الْفَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ فَجَعَلَ إِسْمَاعِيلُ يَأْتِي بِالْحِجَارَةِ، وَإِبْرَاهِيمُ يَبْنِي حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَ الْبِنَاءُ جَاءَ بِهَذَا الْحَجَرِ فَوَضَعَهُ لَهُ فَقَامَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَبْنِي وَإِسْمَاعِيلُ يُنَاوِلُهُ الْحِجَارَةَ وَهُمَا يَقُولَانِ (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) قَالَ فَجَعَلَا يَبْنِيَانِ حَتَّى يَدُورَا حَوْلَ الْبَيْتِ وَهُمَا يَقُولَانِ (رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) .

كم في هذه القصة العظيمة من الاثر العظيم في تركية النفس وفلاحها ، خاصة للحاج الذي يعيش في هذه الايام في تلك البقاع التي حصلت فيها أحداث القصة ، ومن تلك الفوائد والعبر ما يلي :-

- إدراك نعمة الله سبحانه بأن جعل هذه البقاع مثابة وأمناً ، ومن قبل كان مكاناً فقراً ليس فيه أحد ، وليس فيه ماء .

- حفظ الله لاوليائه فإنه لا يضيعهم مهمات انقطعت عنهم الاسباب ، كما حفظ إم إسماعيل وابنها في هذا المكان الخالي ، {ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون. الذين آمنوا وكانوا يتقون} .

- فعل السبب لا ينافي كمال التوكل على الله والثقة به سبحانه وتعالى، كما قالت أم إسماعيل «إذاً لا يضيعنا» ، ومع ذلك فقد كانت تسعى بين الصفا والمروة تبحث عن السبب.

- اللجوء إلى الله سبحانه وتعالى بالدعاء والتضرع إليه ، كما فعل إبراهيم عليه السلام .

- وجوب شكر نعمة الله سبحانه وتعالى مهما كانت الحالة المعيشية .

- التضرع إلى الله سبحانه وتعالى في قبول العمل ، مهما بلغ الانسان في إخلاصه ومتابعته
فلن يبلغ حال إبراهيم هليه السلام ، ومع ذلك كان يدعو بالقبول وهو يبني بيت الله هو
وابنه .

الحلقة الثانية عشرة

تحقيق التوحيد

أيها المستمعون الكرام ، حجاج بيت الله الحرام ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأهلاً بكم مع هذه الحلقة من برنامجكم (الحج وتركية النفس) . نذكر بتزكية النفس في جانب مهم وهو تحقيق التوحيد من الحج .

إن للحج أثراً عظيماً في تحقيق التوحيد في النفس من خلال ما يقوم به الحاج من أعمال ، وما يتلفظ به من أقوال . فإنه بمجرد إحرامه يرفع صوته بإعلان ذلك ونفي الشريك عن الله سبحانه وتعالى ، قائلاً : « لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك ، لا شريك لك... » ، فيردد هذه التلبية مراراً وتكراراً ، كما تتردد على سمعه من جموع الحجاج مراراً وتكراراً . يعلن الجميع فيها نفي الشريك عن الله سبحانه في ربوبيته ، وفي ألوهيته ، وفي أسمائه وصفاته ، فيتوجه الحاج مخلصاً لربه ، غير مشرك في عبادته .

إن الحاج عندما شرع بنسكه أعلن في بدايته خلوصه من الشرك الذي حذر الله سبحانه منه بقوله { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا }^(١) .

وقوله سبحانه { إِنَّهُ مَنْ يَشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ }^(٢) . وقوله سبحانه { وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ }^(٣) .

(١) سورة النساء ، آية ١١٦ .

(٢) سورة المائدة ، الآية ٧٢ .

(٣) سورة الحج ، الآية ٣١ .

كما حذر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) من الشرك في أحاديث عدة منها ما ورد في صحيح البخاري من حديث أنس (رضي الله عنه) يَرْفَعُهُ «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ لَاهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا: لَوْ أَنَّ لَكَ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَيْءٍ كُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ قَالَ نَعَمْ، قَالَ فَقَدْ سَأَلْتُكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي فَأَبَيْتَ إِلَّا الشِّرْكَ»^(١).

وعده من أكبر الكبائر لما في صحيح البخاري ، من حديث عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ (صلى الله عليه وسلم) : «أَلَا أُبَيِّتُكُمْ بِأَكْبَرِ الْكِبَائِرِ ثَلَاثًا؟ قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: الْإِشْرَاكُ بِاللَّهِ، وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ، وَجَلْسَنَ، وَكَانَ مُتَكِنًا فَقَالَ: أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ، قَالَ فَمَا زَالَ يُكْرِرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ»^(٢).

كما نهى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن يحج البيت مشرك ، كما في صحيح البخاري ، من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ بَعَثَنِي أَبُو بَكْرٍ فِي تِلْكَ الْحُجَّةِ، فِي مُؤَدِّينَ يَوْمَ النَّحْرِ، نُؤَدُّنُ بِمَيٍّ «أَنْ لَا يَحُجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ، قَالَ حُمَيْدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ثُمَّ أَرَدَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيَّا، فَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَدِّنَ بِرَاءَةً، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ فَأَدَّنَ مَعَنَا عَلِيٌّ فِي أَهْلِ مَيٍّ يَوْمَ النَّحْرِ، لَا يَحُجُّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلَا يَطُوفُ بِالْبَيْتِ عُرْيَانٌ»^(٣).

أخي المستمع الكريم ، أخي الحاج ، إن تحقيق التوحيد في النفس من الحج يحصل للحاج من جوانب عديدة ، فيعلم على سبيل المثال أن الله سبحانه وتعالى قرن النهي عن الشرك بتطهير بيته العتيق ، وهذا يدل على وجوب تطهيره من مظاهر الشر والبدع ونحوها مما لا يليق بوحداية الله سبحانه وتعالى ، وأردف ذلك بالدعوة إلى الحج فقال سبحانه {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ وَأَدِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ } .

(١) كتاب أحاديث الأنبياء ، حديث رقم ٣٣٣٤ .

(٢) كتاب الشهادات ، حديث رقم ٢٦٥٤ .

(٣) كتاب الإيمان ، حديث رقم ٣٦٩ .

ومن الأمور التي تحقق التوحيد في النفس من أعمال الحج ما يسن للحاج من ركعتي الطواف أن يقرأ فيهما بسورتَي : الإخلاص ، والكافرون . هاتان السورتان اللتان خصصتا للتوحيد ونفي الشرك ، فهما تضمنتا أنواع التوحيد كله ، ففيهما توحيد الربوبية ، وتوحيد الألوهية ، وتوحيد الأسماء والصفات . أو إن شئت فقل : تضمنتا توحيد المعرفة والإثبات ، وتوحيد الطلب .

بل إن كلمة واحدة من سورة الإخلاص ، هذه السورة العظيمة ، انتظمت ذلك كله {قل هو الله أحد} فهو أحد في ربوبيته ، أحد في ألوهيته ، أحد في أسمائه وصفاته ، لا شريك له في ذلك كله .

ومما يتحقق به التوحيد في نفس الحاج ما يدعو به على الصفا والمروة مما أثر عن النبي (صلى الله عليه وسلم) في سياق حجته حيث كان يقول : بعد أن وحد الله وكبره : لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ أَجْزَرَ وَعْدُهُ وَنَصَرَ عَبْدُهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذَلِكَ قَالَ مِثْلَ هَذَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ حَتَّى إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي سَعَى حَتَّى إِذَا صَعِدَتَا مَشَى حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ فَفَعَلَ عَلَى الْمَرْوَةِ كَمَا فَعَلَ عَلَى الصَّفَا » .

كما أن الحاج قد أعلن توحيده على صعيد عرفات وهو يكرر هذا الدعاء : ((لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير))^(١) . وتلك الأدعية التي يدعو بها الحاج في كل عمل من أعمال حجه ، التي فيها إعلان العبودية لله والخلاص من الشرك .

ومن ذلك أيضاً ما كان يدعو به الحاج حينما يعود من حجه ، لما ثبت عن النبي (صلى الله عليه وسلم) كما في صحيح البخاري ، من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا قَفَلَ مِنْ غَزْوٍ أَوْ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ يُكَبِّرُ عَلَى

(١) وهو من دعاء رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في هذا اليوم ، أخرجه الترمذي ، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم ٣٢٦٩ .

كُلَّ شَرَفٍ مِّنَ الْأَرْضِ ثَلَاثَ تَكْبِيرَاتٍ ثُمَّ يَقُولُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ آيُّونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ صَدَقَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَنَصَرَ عَبْدَهُ وَهَزَمَ الْأَحْزَابَ وَحْدَهُ»^(١) .

وبالجملة أخي الحاج ليكون حجك هذا وسيلة لتزكية نفسك بتوحيد الله سبحانه وتعالى ، فلا تدعو إلا الله ، ولا تستعين إلا بالله ، ولا تستغيث إلا بالله سبحانه وتعالى ، فلا شرك مع الله، ولا خضوع لغير الله ، وتتجنب البدع والخرافات ، فلا دعاء للأموات ، ولا طواف أو تبرك بالقبور ، فهي لا تضر ولا تنفع . تتعلم ذلك كله ونحوه من حجك، من جوانب تحقيق التوحيد ، فتعود من حجك قد زكت نفسك ، وصفا قلبك من شوائب الشرك ، والبدع والخرافات . تدرك بذلك فضل التوحيد الذي أخبر به المصطفى (صلى الله عليه وسلم) بقوله «أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي فَأَخْبَرَنِي أَوْ قَالَ بَشَّرَنِي أَنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْ أُمَّتِي لَا يُشْرِكُ بِاللَّهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ قُلْتُ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ قَالَ وَإِنْ زَنَى وَإِنْ سَرَقَ»^(٢) .

(١) كتاب الحج ، حديث رقم ١٧٩٧ .

(٢) أخرجه البخاري ، كتاب الجنائز ، حديث رقم ١٢٣٧ .

الحلقة الثالثة عشرة

تزكية النفس بعد الحج

أيها المستمعون الكرام ، حجاج بيت الله الحرام ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وأهلاً بكم مع هذه الحلقة من برنامجكم (الحج وتزكية النفس) ، إن من تحقيق تزكية النفس في الحج أن يعود الحاج بعد الحج أحسن حالاً منه قبل ذلك ، لما اكتسب في هذا الحج من الدروس والعبر ، وتربية النفس في هذا الموسم العظيم .

ومن الأمور التي يحسن بالحاج أن يقف عندها ، ويستلهم منها الدروس والعبر لزكاة نفسه ، أنه أحرم في بداية حجه أو عمرته . وفي إحرامه هذا اجتنب محظورات الإحرام ، التي هي حلال له قبل ذلك ، مثل الطيب ، وتقليم الأظافر ، وقص الشعر ، وقتل الصيد ، ولبس المخيط للرجال ، ونحو ذلك من محظورات الإحرام ، اجتنب ذلك كله ، اتباعاً لشرع الله ، وسنة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) . لا بد أن يعلم من كانت هذه حاله ، أن الله سبحانه وتعالى قد حرم عليه أموراً في سائر أيامه ، هي أشد حرمة من محظورات الإحرام ، فعل التزامه بالبعد عن محظورات الإحرام في الحج أو العمرة ، يكون دافعاً له في البعد عن محرمات الله سبحانه وتعالى عليه في سائر أيامه .

فعلى سبيل المثال يجتنب بالربا ، لان الله سبحانه وتعالى حرمه عليه ونهاه عنه ، لقوله سبحانه { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ } .

يجتنب الفواحش لان الله سبحانه وتعالى حرمها عليه ونهاه عنها، لقوله سبحانه {قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} . وقوله {وَلَا تَقْرُبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ} .

يجتنب السبع الموبقات التي أخبر عنها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقوله : «اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ قَالُوا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا هُنَّ قَالَ الشُّرْكُ بِاللَّهِ وَالسَّحَرُ وَقَتْلُ النَّفْسِ

الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَكْلُ الرِّبَا وَأَكْلُ مَالِ الْيَتِيمِ وَالْتَوَلَّى يَوْمَ الزَّحْفِ وَقَذْفُ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ الْعَافِلَاتِ»^(١) .

يجتنب عقوق الوالدين وقول الزور فهي من أكبر الكبائر التي أخبر عنها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) بقوله : «أَلَا أُنبِّئُكُمْ بِأَكْبَرَ الْكِبَائِرِ ثَلَاثًا قَالُوا بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ الإِشْرَاكُ بِاللَّهِ وَعُقُوقُ الْوَالِدَيْنِ وَجَلَسَ وَكَانَ مُتَكِنًا فَقَالَ أَلَا وَقَوْلُ الزُّورِ قَالَ فَمَا زَالَ يُكْرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا لَيْتَهُ سَكَتَ»^(٢) .

والمحرمات الني حرمها الله سبحانه وتعالى على عباده كثيرة ليس المجال مجال حصرها، ولكن المهم أن ينتفع الحاج من حجه كما امتنع عن الأمور المحرمة عليه وقت الإحرام ، أن يمتنع عن المحرمات عموماً .

ومن جانب آخر في تزكية النفس بهذا الموسم العظيم ، جانب الحرص على استجابة نداء الله سبحانه وتعالى فيما أمر به ، فإذا كان الحاج أجاب نداء الله سبحانه وتعالى في هذا الفريضة ، لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، تلبية لقوله سبحانه {وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ} . فحري به أن يلي نداء الله سبحانه وتعالى في غيرها من الطاعات .

فيلي نداء الله للصلاة كما في قوله {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ} .

ويلي نداء الله للإنفاق {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعَ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ} وقوله {وَأَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولُ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصْدُقْ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ} .

(١) أخرجه البخاري ، كتاب الوصايا ، حديث رقم ٢٧٦٧ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ، كتاب الشهادات ، حديث رقم ٢٦٥٤ .

ويلبي نداء الله للصيام {يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم} .

ويلبي نداء الله للذكر {يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً} .

ويلبي نداء الله لطاعته وطاعة رسوله وأولي الأمر {يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم} .

وبالجملة كما أجاب نداء الله سبحانه للحج ، يستجيب لله ولرسوله في كل أموره ، كما في قوله سبحانه {يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم} .

ومن الأمور المهمة في تزكية النفس التي يجب أن لا يغفل عنها الحاج ، تأمل تلك الأيام التي عاشها مع جماعة المسلمين بلباس واحد هو لباس الإحرام ، لا فرق في ذلك بين رئيس ومرؤوس ، ولا بين غني وفقير ، وما أحس في تلك الأيام من اطمئنان القلب وراحة النفس ، فيزيل إن ما في قلبه من الإحساس بالعلو والرفعة ، والتكبر على الناس .

ومن الأمور التي تزكو بها النفس بعد الرجوع في هذا الموسم، العظيم أن يتأمل الحاج في حال من هو أحسن منه حالا في طاعة الله سبحانه وتعالى، لعل ذلك يكون دافعاً ومنشطاً له في الطاعات وصنوف القربات .

أخي المستمع الكريم ، أخي الحاج لا تنس نعمة الله سبحانه وتعالى عليك أن يسر لك هذه الفريضة ، فتوجه بالشكر إليه سبحانه تحصل على الزيادة من هذه النعمة ، كما في قوله سبحانه {وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم} وما أعظمها من زيادة في نعمة هي طاعة الله سبحانه وتعالى .